المجلد: 16 العدد: 3 الجزء: 2 في (2024 /7/1) Lark Journal
وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الاداب – جامعة واسط، بالتعاون مع مجلة لارك تحت شعار (المسارات المعرفية للعلوم الانسانية والاجتماعية الواقع وآفاق الريادة، المنعقد بتاريخ (2024/4/23)

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Farah Rahim Masir Al-Maksousi

University: Wasit University
College: College Of Arts
Email:
farahr130@uowasit.edu.iq

Keywords:
politics, biopolitics, liberalism, life and death, , authority.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	5 May 2024
Accepted	6 Jun 2024
Available online	1 Jul 2024

Biopolitics according to Foucault

A B S T R A C T

The term biopolitics appeared in Foucault's works, by which he means that everything that concerns humans is subject to authority, by which he means the method used to rationalize issues raised in governmental practice related to the phenomena of living things and what relates to them. Politics is concerned with population and the health that accompanies them, the birth rate and longevity, and these issues in a way were considered topics of political and economic bet until today. Biopolitics was concerned with the human being as a whole, not as an individual or a specific person, to direct the human being towards life and investing in it, not towards death. In contrast to the ancient past, politics in the name of the ruler was practiced to bring death and to kill people in the name of the law. Biopolitics replaced the old policy of surveying the individual and managing his life.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3615

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

السياسة الحيوية عند فوكو

م. م. فرح رحيم مسير المكصوصي/جامعة واسط / كلية الاداب

الخلاصة:

ظهر مصطلح السياسة الحيوية في مؤلفات فوكو, والذي يعني به ان كل ما يخص الانسان خاضع للسلطة التي يقصد بها الطريقة المستعملة لعقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية والمتعلقة بالظواهر الخاصة بالأحياء وما يتعلق بهم, فالسياسة تهتم بالسكان وما يرافقهم من الصحة , ونسبة المواليد , وطول العمر, وهذه المسائل عُدت مواضيع رهان سياسي واقتصادي الى اليوم, فأهتمت السياسة الحيوية بالإنسان ككل لا كفرد او كشخص معين, لتوجه الإنسان نحو الحياة واستثمارها لا الى الموت , على العكس من الماضي القديم فقد كانت السياسة باسم الحاكم تمارس للإماتة وقتل الناس باسم القانون, فحلت السياسة الحيوية محل السياسة القديمة لمراقبة الفرد وادارة حياته.

الكلمات المفتاحية: السياسة, السياسة الحيوية, الليبرالية, الحياة والموت, السلطة.

المقدمة:

اهتم الفلاسفة بالسياسة ووضعوا نظريات في سياسة الدولة او المدينة منذ الفلسفة اليونانية الى يومنا هذا, فضلًا عن اهتماهم بالحياة وما طرحوه من افكار ونظريات في سبيل خدمة المجتمع, الى جانب بحثهم الفلسفي.

يقصد بالفكر السياسي, مجموعة الافكار والنظريات والقيم التي تحرك الحكومة, والسلوك السياسي, وهو النظريات التي يحاول شعب ما على تفسير السلوك السياسي لشعب اخر والقيم التي تحكمه والقانون الذي يسيطر عليه, وتعني النظرية السياسية, وهي نظرية المؤسسات السياسية وتشمل نظريات الدولة والقانون والتمثيل النيابي والانتخاب وهي علم مقارن تفسيري يضرب له مثالا في مؤلفات تاريخ المؤسسات وتحليلها, اما الفلسفة السياسية, فهي تبحث عن اجابات اكثر شمولية عن الاسئلة التي تدور في المنهج وتسويغ اعتماده , والعلم السياسي نظام اكاديمي يشمل النظرية السياسية والفلسفة السياسية والاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع, (جعفر, 1998- 1999, 99- 100).

إما الحياة, فتعني النمو والبقاء, وهي نقيض الموت, و تعم المعاني والاشكال والهيئات و الخ.., وهي مجموعة ما يشاهد في الكائن الحي من مميزات, من مثل النمو والتناسل والتغذية, وكانت لها بداية وهي الولادة, ونهايتها الموت, ولها مدة محددة وتختلف من شخص لآخر, وتطلق الحياة على تاريخ الفرد وسيرته, وما اشتملت عليه من مميزات, تطلق على تاريخ الامة وما يشاهد من ماضيها, كالعادات والتقاليد وغير ها.., وتطلق الحياة على كل مجموع الظواهر التي فيها مميزات الموجودات, من مثل الحياة الفكرية, والاجتماعية, والفنية والادبية وغيرها.., وعلم الاحياء يشمل علم النبات والحيوان, ويسمى العلم الخاص, وعلم الاشكال ووظائف الاعضاء يعرف بعلم الاحياء العام, (صليبا, 1994, 502 وما بعدها).

لقد خصص الفلاسفة مؤلفات في السياسة وعلاقتها بالمجتمع, , واول من وضع محاورات لذلك هو افلاطون وافلاطون فيلسوف يوناني قديم, ومنها (السياسي, السياسة, القوانين, الجمهورية, وغيرها) , وارسطو الفيلسوف اليوناني, تلميذ افلاطون, فقد خصص مؤلفات في السياسة, ومنها (السياسات, ودساتير المدن اليونانية, وفي الفلسفة المسيحية اهتم توما الاكويني في السياسة وخاصة في مؤلفه الخلاصة اللاهوتية, وفي الفلسفة الاسلامية لقد اهتم الفارابي والكثير من الفلسفة, وفي الفلسفة الحديثة السياسة لها دور مهم في فكر الفلاسفة, لقد سبق هوبز في كتابه (اللوثيان), فلاسفة العصر الحديث اذ يرى في النزعة الالية هي التي توجه رغبات سلوك الانسان في الدولة, والانسان يريد تحقيق كل رغباته, لكنه يصطدم بالآخرين اي في المجتمع,

ولكي يضمن بقاءه في الحياة عليه ان يحتال لذلك والحيلة هي الدولة ذات السيادة والتي تملك السلطان المطلق الذي تنفذ جميع قراراته, ومن بعده خرجت الافكار السياسية, لقد وضع اسبينوزا كتاب (رسالة في اللاهوت والسياسة), وكانط في (نحو السلام الدائم), وهيجل في مؤلفه (فلسفة القانون) وكل الفلاسفة استنبطوا المبادئ السياسية من نظرياتهم الفلسفية, (بدوي, 1984, 163), وهذا يدل على ان الفكر الفلسفي سلسلة مترابطة متصلة من الافكار, وصولا لفوكو وهو مفكر , وفيلسوف فرنسي (1926- 1984), له الكثير من المؤلفات في اللغة والادب والجنس والجنون, والانسان و الاخلاق والسلطة وغيرها ومنهجه التفكيك والنقد يمثل المرحلة الاولى لفكر ما بعد الحداثة, واسلوبه واضح مبهم, وكان مشروعه تحديث المجتمع وقد اخذ المجتمع حيزا كبيرا من مؤلفاته. الذي اهتم في السياسة بشكلها العام متأثرا بفلسفة السابقين عليه, وبالاخص نيتشه, (ليشته, 2008, 231, وما بعدها).

لقد أهتم فوكو بالسياسة المرتبطة بالإنسان ككل لا كفرد او شخص معين, لتوجه الإنسان نحو الحياة واستثمارها لا الى الموت , على العكس من الماضي القديم ، فقد كانت السياسة باسم الحاكم تمارس للإماتة وقتل الناس باسم القانون, فحلت السياسة الحيوية محل السياسة القديمة لمراقبة الفرد وادارة حياته, اما السياسة الحيوية فهي الجمع بين السياسة والحياة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقد حاولت من نصوصه أن اوضح معنى السياسة الحيوية ونشأتها وعلاقتها بالإنسان والليبرالية , ومعنى الحياة والموت بالنسبة لهذه السياسة وكيف تتخذ الوسائل والتقنيات لحفظ الحياة من طريق المراقبة, وفرض القانون, ونوضح في بحثنا هذا أن السياسة الحيوية عند فوكو تمثل إشكالية بالنسبة له, ويتداخل مفهومها مع الفلسفة والاقتصاد والاخلاق والسياسة وفي مختلف جوانب الحياة.

في معنى السياسة الحيوية ونشأتها.

ظهر مصطلح (السياسة الحيوية), في احدى مقالات فوكو, (مولد السياسة الحيوية, 1978, 1979), وجمعت تحت عنوان دروس ميشيل فوكو 1970, 1982, ويقول بأن السياسة الحيوية (اعني بذلك الطريقة المستعملة منذ القرن الثامن عشر في محاولة عقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية والمتعلقة بالظواهر الخاصة بمجموعة من الاحياء الذين يؤلفون جملة السكان : الصحة , نسبة المواليد , طول العمر , الاجناس, ..., ونعلم اي موقع احتلته هذه المسائل بشكل متنام منذ القرن التاسع عشر وما مثلته, باعتبارها مواضيع رهان سياسي واقتصادي الى اليوم), (فوكو, 1988, 58), ويعد المصطلح رئيسا في اعماله المتأخرة ويعني به (علاقة السياسة الحديثة بالحياة الإنسانية, حيث يحاجج فوكو بأن الفعل السياسي للسلطة الحديثة لم يعد

متعلقًا بمجرد سلب الحياة من الرعايا أو الدفاع عنها, كما هو الحال في الامبراطوريات القديمة, بل ظهر مصطلح جديد للتعبير عن المحكومين بدلًا من الرغبة وهو مصطلح السكان, ويمثل ظهور هذا المصطلح بحسب تعبير فوكو, دليلًا على تحول واضح في دور الدولة من كونها مجرد سلطة هامشية بالنسبة لحياة رعيتها اليومية, لسلطة متداخلة في اخص شؤون رعاياها وشروط حياتهم من ادوات تشمل الإحصاء السكاني والاهتمام بالصحة العامة وغيرها, وهكذا تعتني السياسة الحيوية بصحة السكان ووقايتهم من الامراض الخطيرة والمعدية وتحرص على تلقيحهم وتغذيتهم وتصون اجسادهم, وتنظم رغباتهم وتعقلن طرق تصرفهم في اجسادهم, بحيث اصبحت مراقبة كل شروط الحياة الإنسانية مهمة سياسية صرفة), (أغامبين, 2015, 45).

يخرج مفهوم السياسة الحيوية من مفهومه للسلطة, والسلطة تعني (القدرة والقوة على الشيء, وجمعها السلطات وهي الاجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية والتربوية, والدينية والسلطات القضائية وغيرها), (جميل صليبا, 1994, 670), والسلطة مرادفة للقدرة والقوة وهي الملكة الطبيعية للفعل, وملكة قانونية واخلاقية لحق القيام بشيء ما, (لالاند, 2001, 1011, 1012).

اراد فوكو بذلك ان ينتقل من سلطة السيادة الى سلطة الحياة , والاماتة , ويقول ان احدى الظواهر الاساسية في القرن التاسع عشر, هي اهتمام السلطة بالحياة بالإنسان بوصفه كائنا حيًّا, اي حدوث نوع من الدولنة للبيولوجي, فظهر اتجاه يسميه فوكو بـ دولنة البولوجي, المقصود منها علاقة الدولة بالإنسان , ويمكن معرفة ذلك بالعودة الى النظرية الكلاسيكية وتحليلها, (فوكو, 2003, 233).

ويقول فوكو (ان حق الحياة والموت في النظرية الكلاسيكية للسيادة, كان من الحقوق الأساسية في الواقع, يظهر حق الموت والحياة على المستوى النظري غريبًا, فماذا يعني أن يكون هنالك حق على الحياة والموت؟ يعني ان للملك او العاهل حق الحياة والموت, بمعنى انه يستطيع ان يميت أو ان يمنح الحياة, وعلى كل حال أن الحياة والموت ليسا من هذه الظواهر الطبيعية المباشرة والأصلية التي تكون خارج السلطة السياسية),(فوكو, 2003, 34), ويقصد بأن الحاكم له الصلاحية في رعيته على وفق القانون.

يرى فوكو ان العاهل وفق القانون يمارس دائمًا الاماتة لا الحياة, وفي هذه اللحظة يستطيع ان يمارس حقه في الحياة, فهو يمارس القانون بطريقة غير متوازنة , ويشير فوكو الى القانون السياسي في القرن التاسع عشر كان يقتضي ليس منطوق القانون القديم, حق الاماتة والاحياء بل قانون جديد لا يمحو القديم, لكن يخترقه

ويحوله ويعدله, فقد كان في القديم حق السيادة هو الاماتة والاحياء, ثم بعد تأسس قانون جديد هو الحق في الإماتة والاحياء, (فوكو, 2003, 234), وهذا يحدث بشكل تدريجي, وليس على دفعة واحدة.

يقول فوكو (إن الغرب قد عرف منذ العصر الكلاسيكي تحولا عميقا في اليات السلطة هذه, فـ الاقتطاع ينزع الا يكون فيها الشكل الاساسي وانما جزءًا فقط من بين اخرى لها وظائف الحث والتقوية والمراقبة والحراسة وتنظيم القوى التي تخضعها : سلطة تهدف الى انتاج قوى معينة الى العمل على نموها وتنظيمها بدل ان تكون موقوفة على توقيفها الى العمل على اخضاعها او تدميرها. وحينئذ فإن حق الموت سينزع الى الانتقال أو على الأقل الى الاعتماد على مستلزمات تدير الحياة والى الانتظام على ما تطلبه, ان هذا الموت الذي كان ينهض على حق الملك في ان يدافع عن نفسه او على طلب ان يدافع عنه, سيظهر على انه الضد البسيط للحق الذي للجسم الاجتماعي كله في تأمين حياته والمحافظة عليها وتطويرها), (فوكو, 2004, 113), وهذا ما يسميه البيو سياسي اذ يقول (ان استراتيجيات السلطة قد تغيرت في العصر الحديث, فلم تعد السلطة السيادية عقابية وسلطة الموت والحياة, (انا أُحيي وأُميت), فلقد تطورت استراتيجيات جديدة لسُلطة تأديبية وضبطية تعمل من ناحية على انتاج اجساد طيعة وهذه سياسات الجسد, ومن الناحية الاخرى على انماء الحياة (الاجساد), وتكثيرها, (سياسات السكان والصحة والانجاب...الخ), وهذا هو الجانب البيو سياسي للسُلطة), (أغامبين, 2021, 39).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فالتحولات التي مرت بها السلطة تحولت الى تطبيق القانون لتقليل حدوث الموت واستثمار الحياة وهذه المسألة طرحت على فقهاء القانون وهم يقولون عندما نتعاقد يكون ذلك على مستوى العقد الاجتماعي, والافراد يجتمعون ويعطون سلطة للحاكم, يفعلون ذلك بدافع الخطر والحاجة ومن اجل ان يحافظوا على حياتهم ، هذا في نهاية القرن السابع عشر بداية القرن العشرين, ثم تطورت اليات السلطة الى التكنلوجيا لتتجه الى الانسان الى تعدد الناس بوصفهم مجموعة كلية تتأثر بعمليات جماعية تخص حياتهم من مثل عمليات الولادة والوفاة والانتاج, والخ... هذا حدث بعد قيام سلطة اولى على الجسد , ثم سلطة ثانية موجهة للإنسان وبعد تكنولوجيا التشريح السياسي للجسد الإنساني, في القرن الثامن عشر, فظهر شيء اخر غير التشريح السياسي للجسد الإنساني وهو السياسة الحيوية للنوع البشري في نهاية القرن الثامن عشر, (فوكو, 2003, 234, 235).

هذا يعني انها تتقدم حسبما يرى فوكو (انها المكمل لسلطة تمارس ايجابيًّا على الحياة , تهتم بتدبيرها وتثمينها , وتكثيرها, وممارسة مراقبات دقيقة وانتظامات شاملة عليها, فالحروب لم تعد تجري باسم الملك

الذي يجب الدفاع عنه, ولكنها باتت تجري باســـم وجود الجميع), (فوكو, 2004, 114), فالحياة كلها بيد السياسة.

بماذا تتعلق السياسة الحيوية؟

يقول فوكو تتعلق بمجموعة من العمليات والاجراءات مثل نســبة الولادة والوفاة وغيرها, وهي على اتصـــال وترابط مع المشـكلات الاقتصــادية والسـياسـة, وقد شـكلت الموضـوعات الاولى للمعرفة والأهداف الاولى للسياسة الحيوية في المراقبة, فوضع القياس والاحصاء لدراستها, وظهر علم الديموغرافيا, ووضعت علامات لمراقبة الظواهر مثلًا الولادة والتدخل في ذلك, وكذلك مع ســـائر الظواهر من مثل الأمراض التي لا يمكن علاجها فتسبب في نقص الانتاج وفي العلاج المكلف, فالمرض اصبح ظاهرة سكانية لا بوصفه موتًا , يزل فجأة على الحياة , بل بوصــفه موتًا دائمًا, يتســرب الى الحياة لينخرها ويضــعفها باســتمرار, (فوكو, 2003, 36), وعلى ضوء هذه الظواهر تتدخل السلطة, من اجل الحياة بأن تقلل من نسب الموت أو تحد منه, وهذا ما كان سـائدًا في العصـر اليوناني القديم, لكنه امتزج بالقانون الشـرعي الديني, فقد حرمت الديانة حتى الانتحار, والرغبة في الموت بأنه عمل غير شرعي, وان لا يقتل الانسان نفسه إلا بموافقة الإله, (رحيم, 2022 876).

فالحياة تكون بيد الســـلطة فهي قادرة على اختراقها من طريق المعرفة ، فالتعامل مع الحياة يكون بالدعم المعرفي لها, لذلك يقول فوكو (يجب التوقف عن الاستمرار في وصف مفاعيل السلطة بعبارات سلبية من مثل : أن الســـلطة تســـتبعد وتقمع وتكبت وتراقب وتجرد وتقع وتخفي, وفي الواقع إن الســـلطة تنتج؛ تنتج الواقع الحقيقي؛ انها تنتج مجالات من الموضـوعات "الاشـياء", ومن طقسـيات الحقيقة , فالفرد والمعرفة التي يمكن ان تكونها عنه هما من فعل هذا الإنتاج), (فوكو, 1990, 204).

فالسياسة الجديدة للسلطة تسعى الى استثمار الحياة, وتعزيز للجسد والاهتمام بالصحة, ووجود تقنيات جديدة لإطالة الحياة, ويقول فوكو التحول من ســلطة تميت الى ســلطة تســعى الى اســتثمار الحياة ليس دليلا على انسانيتها, بل هو ما يمكن السلطة من العمل عبر هذا التحول, اما الفرد فاصبح مهووسا بفيروس السلطة؛ لأنه حامل لسـلطة تلاحقه وتعتقله في كل حركاته, فهي تعمل على السـيطرة والرقابة وهي موجهة للفرد على عده اساس المجتمع الذي يشكله, ففي صلاحه يكون صلاح للمجتمع, بحسب التشريح السياسي, (موسى, 2009, 128), فالســياســة الحيوية تعمل على الرقابة الدائمة للأفراد, والرقابة تعني (رقب الشــيء لاحظه وحرســه وحفظه, والرقابة في اصـــطلاح المحدثين المراقبة وهي التحقق من تنفيذ الامر على وجهه), (جميل صـــليبا, 1994, 619).

العلاقة بين الليبرالية والسياسة الحيوية.

يرى فوكو (من غير الممكن عزل هذه المسائل عن اطار المعقولية السياسية التي ظهرت داخله واكتسبت حدتها ونعني الليبرالية, بما ان هذه المسائل اتخذت بالنسبة لها طابع التحدي في نظام حريص على احترام الخاضعين للقانون وحرية الافراد في المبادرة, كيف يمكن ان تأخذ ظاهرة السكان بنتائجها ومشاكلها الخاصة بعين الاعتبار؟ باسم ماذا وحسب اي قواعد يمكن ان تسيرها؟), (فوكو, 1988, 58).

لقد اراد فوكو تحليل الليبرالية بوصفها ممارسة تصرف متجهة نحو اهداف منظمة عبر تفكير متواصل لعقلنة ممارسة الحكم تخضع خصوصيتها للقاعدة الداخلية لاقتصاد الحد الأدنى, والهدف في ذلك ينطلق من المسلمة القائلة نشاط الحكومة المتمثل في تنظيم سير الناس في اطار الدولة وبواسطة ادواتها, لا يمكن ان يمثل بالنسبة لنفسها غايتها الخاصة, (فوكو, 1988, 58, وما بعدها).

يقول فوكو ان التفكير الليبرالي لا ينطلق من الدولة التي تجد في الحكم وسيلة لبلوغ الغاية التي تمثلها لنفسها, بل ينطلق من المجتمع الذي يجد نفسه في علاقة خارجية وداخلية مركبة ازاء الدولة؛ لأن المجتمع هو الشرط والغاية الاخيرة, وكما ان الليبرالية لا تنحدر من تفكير قانوني, بل من تحليل اقتصادي, ففكرة المجتمع السياسي ليست من انتاجها, لكن من تكنولوجيا الليبرالية للحكومة, ان التنظيم بشكل قانوني يمثل اداة فعالة على غير ما تكون عليه اعتدال الحكام, (فوكو, 1988, 61, 62).

لذلك يميل فوكو الى عد الليبرالية (شكلًا من اشكال التفكير النقدي, في الممارسة الحكومية يمكن ان يصدر هذا النقد من الداخل او من الخارج, ويمكن ان يرتكز على نظرية اقتصادية ما او ان يرجع الى نظام قانوني ما دون علاقة ضرورية ومتواطئة, ان مسألة الليبرالية باعتبارها مسألة افراط في الحكم كانت احد الابعاد الثابتة لهذه الظاهرة الحديثة العهد في أوربا والتي برزت اولًا في انكلترا على ما يبدو وهي الحياة السياسية, بل ان مسألة الليبرالية هي عنصر من العناصر المؤلفة لها باعتبار ان الحياة السياسية توجد عندما تكون الممارسة الحكومية محدودة في افراطها الممكن نظرًا لكونها موضوع جدل عام بخصوص ما تمثله من خير او شر, او بخصوص افراطها او عدم كفايتها), (فوكو, 1988, 63), فالليبرالية شكل من اشكال السلطة تهتم بالجانب الاقتصادي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

توظيف الحياة والموت في السياسة الحيوية.

في حق الموت والسلطة على الحياة يقول فوكو (لزمن طويل كان حق الحياة والموت احد الامتيازات المميزة للسلطة المطلقة, لا شك في انه كان مستمدًا شكليًا من السلطة الابوية القديمة التي كانت تخول رب الاسرة الروماني حق التصرف بحياة أولاده, كما في حياة عبيده, فهو الذي اعطاهم إياها, وبوسعه ان ينتزعها منهم), (فوكو, 1990, 138), فالسياسة الحيوية تكون طريقة لعقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية المتعلقة بالظواهر الخاصة بمجموعة من الاحياء الذين يؤلفون المجتمع, (فوكو, 1988, 59).

إن التحول الذي حصل تدريجيًا الى الاهتمام بالجسد انتقل عبر التاريخ من السلطة نحو الموت الى استثمار الحياة والاهتمام بالفرد لأنه النواة الاساسية في المجتمع, اما حق الحياة والموت فلم يعد يمارسه الملك على رعاياه بشكل مطلق وبلا قيد وشرط, الا اذا كان مهددا في وجوده بالذات, ويعد نوعا من حق الرد, لذلك يحق له ان يشن الحرب ويطلب من رعيته الحماية والدفاع عن الدولة, من غير ان يستهدف موتهم بشكل مباشر, اما اذا انتفض ضده احد رعيته, وخالف قوانينه, فحينئذ يمارس الملك السلطة على حياته, اي الموت المباشر, ويكون الملك لا يعبر عن سلطته في الحياة إلا بالموت الذي يفرضه, فيكون حق الحياة والموت, هو حق القتل أو الابقاء على الحياة, (فوكو, 1990, 138).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

دور السياسة الحيوية بالسكان.

يقول فوكو ان السياسة الحيوية لها علاقة بالسكان كمشكلة سياسية وعلمية وبيولوجية وسلطوية هذه اولًا, وثانيًا لها علاقة بطبيعة الظواهر الجماعية التي لا تحدث اثارا اقتصادية وسياسية الا عندما تصيب السكان, وهي ظواهر مفاجئة, ومتسلسلة ومرتبطة بمدة زمنية طويلة نسبيًا والى هذه الظواهر تتجه السياسة الحيوية, وثالثًا, على ضوء هذه الظواهر والاحداث تضع السياسة الحيوية مجموعة من الاليات والوظائف, التي تهتم بالتوقعات والتقديرات الاحصائية والقياسات العامة وتعديل الظواهر, وتعديل وخفض نسبة الوفيات واطالة الاعمار وتنشيط الولادات, (فوكو, 2003, , 38), اما السلطة سابقًا فكانت قبل كل شيء حق الاستيلاء على كل شيء, الوقت والاجساد والحياة من اجل ازالتها, (فوكو, 1990, 139), اما السياسة الحيوية فاهتمت بالحياة من أجل الحياة, ويقول فوكو (ان ما يجعل السلطة تستوي في مكانها, ويجعل الناس يتقبلونها, وانها لا تثقل عليهم كقوة تقول لا, ولأنها تخترق الاشياء وتنتجها, وتستخلص اللذة , وتصوغ المعرفة, وتنتج الخطاب, يجب اعتبار السلطة بمثابة شبكة منتجة تمر عبر الجسم الاجتماعي كله, أكثر مما هي هيئة سلبية, وظيفتها هي ممارسة القمع), (فوكو, 1970, 63, 64), بل انها تخترق كل فضاء, وتنتشر في كل الانحاء

وليست سلطة قمعية خالصة, بل تنتج الرغبة وكذلك تولد الحقائق, وتندمج في الاستراتيجيات, الرهانات المتشعبة, (السيد والد اباه, 1994, 92), لذلك تصبح الحياة وكل شيء رهان السلطة والسياسة.

الحياة تكون ضمن اليات السياسة والسلطة وتقوم السياسة الحيوية على الحياة والاهتمام بها, لذلك يقول فوكو بالمراقبة والقصد منها التذكير بالمبادئ الصحيحة المتعلقة بالموت والمرض والحياة السياسية, وغيرها ومن التذكير تبين رد الفعل والتحقق من المبادئ بأنها اصبحت فعلًا , كالصوت الذي يرفعه سيد البيت عندما تزمجر الاهواء فيعرف كيف يخرسها, (فوكو, 1988, 88), فالمراقبة ضرورية من اجل الحياة, فدور السياسة الحيوية واهم موضوعاتها هو مراقبة الحياة, ويقول في ذلك (الاجراءات والعمليات الخاصة بالولادة والوفاة وطول العمر هي التي.. شكلت الموضوعات الاولى للمعرفة والاهداف الاولى للسياسة الحيوية في المراقبة), (فوكو, 2003, 236), ويرى فوكو منها تشكلت السياسة الحيوية وبعض الممارسات التي كانت مجالا لتدخل المعرفة والسلطة, وعليه تعمل السياسة الحيوية, فالسلطة الحيوية لا تتصل بمجتمع ولا بفرد, بل جسد له رؤوس عديدة جسد محسوب معدود اي السكان كمشكلة سياسية وعلمية وبيولوجية وسلطوية وطبيعة الظواهر, على العكس من سلطة السيادة التي تقتضي القدرة على الاماتة , وتظهر السطلة مزودة بتكنولوجيا الحيوية وعلى الانسان بوصفه كائنا حيا وهي سلطة على الاحياء اي احياء الانسان لا اماتته او تركه يموت, (فوكو, 2003, 236, وما بعدها).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويرى فوكو بأن هذا التحول (من سلطة تبيح الموت الى تمجيد الحياة), ليس دليلا على انسانيتها, بل هو عملها عبر تحويل اشكال وتقنيات ممارستها, (موسى, 2009, 127), الا ان ما يميز السياسة الجديدة لها انها تسعى الى استثمار الحياة, والتقنيات الجديدة هي لإطالة الحياة الى اقصى حد, فيكون الاهتمام للجسد والصحة وطول العمر ونسل الطبقات المهيمنة, (موسى, 2009, 127). وهذا ما كان يراه راسل(فيلسوف معاصر), أن المشكلة الاساسية بين السلطة والفرد هي كيفية ايجاد الصلة بين حرية الفرد, التي تعد احد مستلزمات التقدم وبين التعاون مع الاشخاص, والفرد لا يستطيع بدونهم ان يستمر في الحياة, (راسل, 2005, 21).

يتحدث فوكو عن السلطة السيادية الذرية القاتلة, فهي تقضي على الحياة وعلى السلطة بوصفها ضامنة للحياة, وليس هذا فقط بل السلطة غير ضامنة للحياة لتجاوز لحق العاهل والسيد عليها وتجاوزها عليهم, والتجاوز ظهر عندما اعطيت للإنسان الامكانية التقنية والسياسية لتنظيم الحياة تكاثرها وصناعة الكائن الحي والمسخ والشاذ وفايروسات لا يمكن مراقبتها هدامة ومخربة عالميا, وهو امتداد هائل للسلطة الحيوية الذرية التي تتجاوز كل سيادة انسانية, ومن ثم بدأت تتراجع والسلطة الحيوية الانضباطية والتنظيمية تتقدم وموضوعها

وغايتها الانسان وهي تأمر بالقتل والموت؟ وان تعرض للموت مواطنيها وهدفها الحياة؟ كيف تمارس وظيفة الموت في نظام سياسي مركز على السلطة الحيوية؟ (فوكو, 2003, 244, 245).

يدخل فوكو مسألة العنصرية, وكانت موجودة وتعمل في مكان اخر, وتم اكتشافها في هذه الحقبة ومن زرعها في اليات الدولة هي السياسة الحيوية, فتم تثبيتها بوصفها الية سياسية للسلطة, واصبح العمل بين الدول لا يكون الا من العنصرية, فما هي العنصرية؟

يرى فوكو بأنها وسيلة ندخل بها ميدان الحياة الذي اخذته السلطة بعين الحسبان واحدثت قطيعة بين ما يجب ان يحيا و يموت, حتى ظهرت الاعراق البيولوجية للصنف الانساني والتي تميزت وترتبت على وفق اعراق جيدة واخرى دونية وضيعة ودنيئة, وفي هذا الميدان يسمح للسلطة معالجة السكان بوصفهم خليطا من الاعراق, وتقسيم السكان الى فئات صغيرة على اساس العرق وهي الوظيفة الاولى للعنصرية التي كانت غاية السلطة الحيوية, (فوكو, 2003, 244, 245).

وللعنصرية وظيفة اخرى هي اقامة علاقات ايجابية من طريق القتل فكلما قتلت حييت, او كلما امت عشت, وهذه العلاقة تتمثل بـ اذا اردت ان تحيا يجب ان تميت وان تتمكن من القتل , وهي علاقة الحرب لم يكتشفها الدولة او العنصرية, لكن العنصرية وظفتها في ذلك فتكون بكيفية مناسبة مع السلطة الحيوية, فمن ان اجل ان تحيا يجب القضاء على اعدائك, والتي ستسمح بها العنصرية هي العلاقة بين حياتي وموت الاخر ليست من طبيعة عسكرية وحربية, بل بيولوجية وقت قتل الاعراق الدنيا وموتهم ما يجعل الحياة اكثر طهارة, وهذا يعني ان حق الاماتة وشرط الموت غير مطلوب في نظام السلطة الحيوية عند النصر على السياسيين الخصوم بل القضاء على العرق, فالعنصرية شرط القبول والموافقة على الاماتة في مجتمع معياري تكون فيه السلطة الحيوية لذلك تكون العنصرية هي التي تسمح بإماتة فرد او اماتة الاخرين, (فوكو, 2003, 246), اذًا فتوظيف الموت دور السلطة العنصرية في السلطة الحيوية.

الخاتمة

بناءٍ على ما تقدم يمكننا القول إن السياسة الحيوية عند فوكو تمثل إشكالية بالنسبة له, ويتداخل مفهوم السياسة الحيوية مع الفلسفة والاقتصاد والاخلاق والسياسة وفي مختلف جوانب الحياة.

لقد اهتم فوكو بهذا المفهوم وتنوعت كتاباته في ذلك, لأن السياسة الحيوية تسلك كل الطرق في سبيل الوصول الى ما يريد وغايتها استثمار الحياة, فهي سلطة بدأت في فهم طبيعة الحياة, اما الموت فلا بد من ايقافه, او الحد منه.

السياسة الحيوية عند فوكو مركبة من علاقة بين السياسة والحياة, ومفهومها يخرج من السلطة, بالتتبع التاريخي يرى فوكو ان السياسة الحيوية انتقلت من سلطة السيادة والاماتة الى طلب الحياة والسعي لها, فهي متعلقة بمجموعة من العمليات والاجراءات مثل نسبة الولادة والوفاة والامراض, والتي على اتصال وترابط مع المشكلات الاقتصادية والسياسة, التي شكلت الموضوعات الاولى للمعرفة, فالحياة الاجتماعية خاضعة للسلطة وتكون تحت المراقبة, والهدف من ذلك التغلغل في الشرائح الاجتماعية.

الهدف الاول للسياسة الحيوية يكون في المراقبة, فوضع القياس والاحصاء لدراستها, وظهر علم الديموغرافيا, ووضع علامات لمراقبة الظواهر مثلًا الولادة والتدخل في ذلك, وكذلك مع سائر الظواهر كالأمراض التي لا يمكن علاجها فتسبب في نقص الانتاج وفي العلاج المكلف, فالمرض اصبح ظاهرة سكانية لا بوصفه موتًا, يزل فجأة على الحياة , بل بوصفه موتًا دائمًا, يتسرب في الحياة لينخرها ويضعفها باستمرار, وعلى ضوء هذه الظواهر تتدخل السلطة, من اجل الحياة بأن تقلل من نسب الموت أو تحد منه, فالسياسة الحيوية اخذت تدبر حياة الاشخاص, والاشياء وارتبطت بالاقتصاد والحكومة والقانون, والاخلاق فالكل خاضع لها.

فالحياة تكون بيد السلطة فهي قادرة على اختراقها من طريق المعرفة فالتعامل مع الحياة يكون بالدعم المعرفي لها, وكذلك علاقتها مع السياسة الليبرالية والتخلص من العنصرية ومنع قتل الأقليات على عدهم عروقا دنيئة.

قائمة المصادر والمراجع.

1- لالاند, اندريه, (2001), موسوعة لالاند الفلسفية, مج1, تعريب: خليل احمد خليل, ط2, بيروت- باريس, منشورات عويدات.

2- صليبا, جميل, (1994), المعجم الفلسفي, ج1, بيروت, الشركة العالمية للكتاب شمل.

3- اغامبين, جورجو, (2015), حالة الاستثناء, نقله الى العربية: ناصر اسماعيل, ط1, مصر, مدارات للأبحاث والنشر.

4- اغامبين, جورجو, (2021), فتنة الحرب الاهلية بوصفها نموذجًا سياسيًا, نقله من الايطالية الى الانكليزية: نيكولاس هيرون, نقله الى العربية: عبيدة عامر, مراجعة: طارق العلي, بيروت, مدارات الابحاث والنشر.

5- ليشته, جون, (2008), خمسون مفكرًا اساسيًا معاصرا, ت: فاتن البستاني, ط1, بيروت, المنظمة العربية للترجمة.

6- موسى, حسين, (2009), ميشيل فوكو- الفرد والمجتمع , دار التنوير للطباعة والنشر.

7- راسل, برتراند, (2005), السلطة والفرد, ت: نوري جعفر, ط1, بغداد, منشورات الجمل.

8- ولد اباه, السيد, (1994), التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو, ط1, بيروت, دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.

9- عبد السلام جعفر, صفاء, (1998, 1999), قراءة للمصطلح الفلسفي, دار الثقافة العلمية.

10- بدوي, عبد الرحمن, (1984), موسوعة الفلسفة, ج2, ط1, بيروت, المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

11- فوكو, ميشيل, (1990), ارادة المعرفة, ت: مطاع صفدي, وجورج اني صالح, بيروت, مركز الانماء القومي.

12- فوكو, ميشيل, (1990), المراقبة والمعاقبة, ت: علي مقلد, بيروت, مركز الانماء القومي.

13- فوكو, ميشيل, (2004), تاريخ الجنسانية, 1, إرادة العرفان, ت: محمد هشام, افريقيا الشرق.

14- فوكو, ميشيل, (1988), دروس ميشيل فوكو, مولد السياسة الحيوية, ترجمة: محمد ميلاد, ط1, المغرب, دار توبيقال للنشر.

15- فوكو, ميشيل, (1970), نظام الخطاب, ت: محمد سبيلا, دار التنوير.

16- فوكو, ميشيل, (2003), يجب الدفاع عن المجتمع, ترجمة: الزواوي بغورة, ط1, بيروت, دار الطليعة للطباعة والنشر.

17- رحيم, فرح, (2022), رحلة الخلود في تصور الديانة الأورفية, لارك,(2022) , (47), (4), https://doi.org/10.31185/

Sources and references:

1- Lalande Andre (2001), Lalande Philosophical Encyclopedia, Volume 1, Arabized by Khalil Ahmed Khalil, ed., Beirut Paris, Oweidat Publications.

2- Saliba, Jamil, (1994) The Philosophical Dictionary, Part 1, Beirut, Shamal International Book Company.

3- Agamben, Giorgio (2015), The State of Exception, translated into Arabic by Nasser ,Ismail, Ta, Egypt Orbits for Research and Publishing.

4- Agamben, Giorgio (2021) The Temptation of Civil War as a Political Model, translated from Italian to English: Nicholas Herron, translated to Arabic by Obaida Amer, reviewed by Tariq Al-Ali, Beirut Research and publishing orbits.

5- Lichte John, H. (2008) Fifty Key Thinkers Contemporaries by Faten Al-Bustani, Beirut, Arab Organization for Translation.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

6- Musa, Hussein (2009), Michel Foucault - The Individual and Society, Al-Tanweer Printing and Publishing House.

7- Russell Bertrand (2005), Authority and Alfred Nouri Jaafar, Baghdad, Al-Jamal Publications.

8- Born His Father Al-Sayyid (1994), History and Truth according to Michel Foucault, ed., Beirut, Arab National Team House For studies, publication, and distribution.

9- Abdul Salam Jaafar Safaa (1998 (1999), A Reading of the Philosophical Term, Dar - Al-Thaqafa Al-Ilmiyyah.

10- Badawi, Abdul Rahman (1984), Encyclopedia of Philosophy, Part 2, Beirut, Arab Foundation for Studies and published.

11- Foucault, Michel (1990) The Will to Knowledge, by Mutaa Safadi and George Ani Saleh, Beirut, Center National development.

12- Foucault, Michel (1990) Surveillance and Punishment of the Beirut Impersonator of .the National Development Center

13- Foucault, Michel (2004), The History of Sexuality 1, The Will to Know, by .Muhammad Hisham, Africa of the East

14- Michel, Foucault (1988) Lessons by Michel Foucault, The Birth of Biopolitics, translated by: Muhammad Milad Toubqal Publishing House, Morocco.

15- Foucault, Michel (1970), The System of Discourse: Translated by: Muhammad Sabila, Dar Al-Tanweer.

16- Foucault, Michel (2003), Society must be defended, translated by Al-Zawawi Bghoura, Ta, Beirut Dar Al-Taliah for Printing and Publishing

17- Raheem, Farah, (2022), Journey to Immortality in the Perception of the Orphic Religion, lark(2022), 47,(4), https://doi.org/10.31185 .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية